

السراسين^(١) (يعني المسلمين) هذا الشعب البربري المزعج الذي تعامل معه ولا بد بعض رهباننا بحكم الواقع ... » (ص ٩) . ثم ينقل نفس الكاتب عن بروكوبيس أن جستين قد بنى كنيسة لأم المسيح عليهما السلام ، وقلعة ضخمة محصنة بعدة معسكرات أقيمت حولها بحيث لا يستطيع السراسين (المسلمون) أن يفكروا في بناء قاعدة في هذا المكان يمكن أن ينطلقوا منها لغزو البلاد ، وذلك لأن هذه المنطقة لم تكن في هذا الوقت أهلة بالسكان (ص ٩-١٠) إن رودينسون ينهي كلامه في هذا الجزء من مقدمته بهذه الطريقة متعمدا إثارة الرأي العام الغربي النصراني والعالمي ضد المسلمين ، الذين يصفهم بالبربرية والعنف والميل إلى التخريب والتدمير ، وبأنهم لا أيمان لهم ولا عهد ولا ذمة . وهو يحمل المسلمين مسئولية سقوط الإمبراطورية الرومانية والاستيلاء على أراضيها بالقوة ، واستلاب آثارها وذخائرها وثرواتها بالإكراه . ويزعم رودينسون أن المسلمين هم الذين اغتالوا الديانة النصرانية وأعاقوا مسيرتها ، وبالتالي فعلى الغرب النصراني أن يسترد منهم كل ما أخذوه بالقوة . هذه هي فحوى كلام الكاتب الفرنسي الماركسي إن لم تكن هي نص عباراته بالتحديد .

إنه ينفخ في رماد وينبش عن رفات في ظلمات التاريخ ليشعل نار العداوة ويوجج أوار الصدام والنزاع بين الشعوب الإسلامية وبين الشعوب النصرانية وريثة الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، كما كان يطلق عليها ؛ ويتجاهل رودينسون العوامل الطبيعية والبشرية الذاتية لسقوط الإمبراطوريات والدول والتي كتبت فيها مجلدات عديدة. إن غلبة الظلم والتعسف ، وشيوع الفساد والانحلال ، والاستبداد وقهر الشعوب بالقوة ، والإرهاب والتطرف ، والجمود الفكري والنزعة العنصرية ، والاعتماد على القوة وحدها في سياسة الشعوب والتي كانت كلها سائدة في أنحاء الإمبراطورية الرومانية هي أكبر الأسباب التي عجلت بسقوطها ، سواء في وطنها الأم ، أو في مستعمراتها . لقد سقطت هذه الإمبراطورية بشكل مأساوي مثير للعجب والتأمل وليس لسقوطها تأويل مقبول أو تفسير سائغ غير ما ذكرناه ، وأنه كان لذلك عقاباً من الله تعالى ، وتمهيدا لإصلاح العالم مع ظهور دولة الإسلام وانتشار نور الله والسلام في الآفاق .

لقد تجاهل رودينسون عداوته التاريخية والتقليدية كيهودي للمسيحية ،

(١) كلمة سراسين Saracens هي الكلمة الإنجليزية الحديثة التي أطلقت على المسلمين ، وهي مأخوذة من الكلمة الإغريقية Saraceni والكلمة اللاتينية Sarakenol .